تتسع فيها رقعة التسول ويزداد الفقر فيها يوما إثر آخر..

شبوة.. أطفال يشحتون وكبار يجمعون «الغلة»!

الأمناء / العربي

إلى سنوات قريبة كانت مهنة الشحاتة أو التسوّل منبوذة في محافظة شبوة، واليوم، بسبب الحرب العبثية التي أكلت الأخضر واليابس، انتشرت بشكل كبير واستفحلت حتى أصبحت ظاهرة مقلقة وخطيرة تهدد المجتمع. وللتسوّل في شبوة صور متعدّدة وألوان مختلفة، تنفذ عبر استخدام الأطفال والفتيات الشابات اليافعات والعجزة والمسنين، فأصبح تصرّف المستوّل اليوم، مزعجاً جداً وحركاته وإصراره على الحصول على الأموال يثير القرف !.

باتت مشاهدة المتسوّلين شيئاً مألوفاً، في كل مكان في الشارع والسوق والمطعم وفي المدرسة والمسجد، ووصل الأمر بهم إلى قرع أبواب المنازل وطلب المال من السكان !.

فتيات في عمر الزهور

من سوق عتق المركزي، الذي يعد أكبر وأهم أماكن تواجد المتسوّلين في عاصمة المحافظة، بدأت أول خطوات فريق «العربي» لاستكشاف ظاهرة التسوّل. وفي موقف السيارات بجانب السوق، رصدنا فتاتين في عمر الزهور، لا يتجاوز عمر أكبرهما السادسة عشرة، تقفان بجانب سيارة صالون حديثة، ويتحاوران مع سائقها الذي لا يجلس غيره في السيارة، اقتربنا بهدوء منهم، لنسمع ما يدور من حديث بين السائق والفتيات، تعمّدنا، حتى نصل لغايتنا، أن نتظاهر بالانشغال بالحديث في الهاتف الجوال، والتقطنا حوار استجداء الفتاتين السائق لإعطائهما مبلغاً من المال المصحوب بالدعوات،

■ سوق عتق المركزي يعد أكبر وأهم أماكن تواجد المتسوّلين في عاصمة المحافظة

لكن السائق بدأ يستغل حاجتهن بممارسات لا أخلاقية، قبل أن يخرج من محفظته خمسين ريالاً يقدّمهما لهما وينسحب من المكان، لتلاحقه بعدها لعنات الفتاتين، لا ندري هل كانت للتعبير عن رفضهما لسلوكه الوقح، أو أنها اعتراضاً على المبلغ الذي دفعه لهما بعد ذلك؟

خطط عمل دقيقة

طفلان وفتاة صغار كانا في اجتماع جانبي على الواقف، بقرب بوابة السوق الشرقية، الفتاة توجه الطفلين بالتحرّك كلاً إلى جهة معينة، بينما هي اتجهت نحو موقف السيارات الذي يبدو أنه - وبالتحديد في ساعات الذروة - يكون مصدر الرزق، بقينا نراقب تحركات الفتاة التي كانت تنتقل بين السيارات الواقفة والمارة هناك بسرعة، استمرت تحركاتها لأكثر من نصف ساعة، وعند منتصف الظهر عادت الفتاة إلى موقع انطلاقتها الأولى، وهناك التقت الطفلين، وتحرك الثلاثة معاً، اقتفينا أثرهما وانتهى بنا المطاف إلى زقاق صغير خلف أحد مطاعم اللحم المندي المحاذية للسوق، وهناك كانت المفاجأة، شاب في عقده الثالث تقريباً، كان في الانتظار، وفور وصول الثلاثة إليه، أخرجوا جميعهم كل ما في حوزتهم من نقود، وأفرغوها في يد الشاب، الذي يبدو أنه كان يجني حصادهم من حفلة التسوّل التي غاب عنها! .

غياب التنسيق

المشهد الثالث كان مصادفة، وحدث في مسجد في السوق القديم بعتق، أثناء صلاة يوم جمعة، فبمجرد أن انتهى إمام المسجد من الصلاة، انبرى من الصفوف الأولى وآخر من الجهة الأخرى متسولان تسابقا في شرح مشكلتهما، أحدهما بدأ بسرد آيات من القرآن الكريم، والآخر تحدّث كلاماً مصحوبا بالبكاء والدموع. الاثنان تنافسا على إظهار قدراتهما الصوتية لكي يطغى كل صوت على الآخر، بينما كان المصلّون ينسحبون من المسجد بعد أداء الفريضة. والخلاصة أن الاثنين خرجا من المولد بلا حمّص، ولكن ما جرى بعد ذلك شيء لا يتصوره عقل ! .

المسجد بدا خالياً تماماً من المصلّين، ولم يتبق داخله سواهما، اقتربا من بعضهما، حينها أطلقنا العنان لموجات لاقط السمع في آذاننا لمعرفة ما سيدور بينهما، فانحصر حديثهما الجانبي على تبادل كلمات العتاب، كل شخص يلوم الآخر على عدم التنسيق في جدول التسوّل اليومي والتوزيع على المساجد الشاغرة، وقطع رزقه ! .

شحاته منزلية

الازدحام على مهنة التسوّل، وصل إلى حد لا يطاق، ومنافسة الشحّاتين لبعضهم أصبحت ملحوظة، الشيء الذي ترتب عليه تدني مستوى الدخل للفرد، والبقاء في السوق طويلا، مما دفعهم للبحث عن سبل أخرى لالتقاط المال، فكانت وجهتهم إلى الحارات وقرع أبواب المنازل وإزعاج ساكنيها.

تسول جماعي

بعض من الشحّاتين قرروا، مؤخراً، ترك المدن بما فيها من زحمة، وشدّ الرحال نحو القرى البعيدة والنائية، واستغفال أهلها (البدو)، فصاروا ينتقلون بين القرى على شكل جماعات على متن سيارات تضم النساء والشباب والأطفال، للتسوّل، وبعد انقضاء ساعات «دوامهم» يجمعون «الغلة» لكبيرهم ليوزّعها بينهم، ويأخذ نصيبه.

التسوّل مهنة !

هناك من يرى بأن التسوّل ليس ناتج عن البطالة أو عدم توفّر شغل - كما يشاع - وإنما أصبح مهنة ارتبط بها من يمارسها درجة الإدمان، فالمحتاجون الحقيقيون والأشد فقراً لم يخرجوا إلى الشوارع بعد، إلا قلة منهم، ولكن الكثير منهم ما يزالون حبيسي الجدران في منازلهم يصارعون العوَز والفقر والحاجة. وهؤلاء هم الذين يستحقون البحث عنهم ورعايتهم من قبل الدولة والمنظمات المانحة والمؤسسات والجمعيات. أما الذين يطوفون الشوارع ويقتحمون المساجد والمنازل والقرى، فإن أكثرهم ليسوا محتاجين بالمعنى الحقيقي، ولكنهم اعتادوا على جني المال بسهولة، وصرفه بسهولة أيضاً.